

٣

بنات النبي صلى الله عليه وسلم

زَينبُ — أمُّ كُلْثوم

رُقيَّة — فاطِمةُ الزهْرَاء





سلسلة أشهر النساء


٣

بنات النبي



إعداد
مدحت منصور المظالي

الطبعة الأولى
١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م

رقم التسلسل ٦٠

سورية - دمشق - حلبوني - ص.ب ٢٥٢٣٧
فاكس : ٢٤٥٤٠١٣ ١١ ٩٦٣+ هاتف ٢٤٥٣٦٣٨ ١١ ٩٦٣+
algwthani@scs-net.org



بسم الله الرَّحمنِ الرَّحيمِ

أكرمَ الله ـ عزَّ وجلَّ ـ نبيَّهُ محمّدًا ﷺ بالذريّةِ الطيّبةِ من البنينَ والبناتِ، ولكنّ البنينَ مَاتوا صغارًا، وبقي بنَاتُهُ الأربعُ، وهنّ: زينبُ ورقيّةُ وأُمّ كُلْثُومٍ وفَاطمَةُ الزّهراءُ رضي الله عنهنّ، وكانتْ أمُّهنَّ جَميعًا السيدةَ خَديجةَ بنتَ خُويلدٍ رَضِيَ الله عنْهَا.

وقَدْ نشأتْ بناتُ النَّبِيّ نَشأَةً مُباركةً، في بيتٍ عامرٍ بالإيمانِ، فكنَّ قُدوةً في العلمِ والهُدَى، وأُسوةً حَسنةً لكلِّ امرأةٍ مُؤمنةٍ عَفيفةٍ طَاهرةٍ.

وهذَا الكتابُ نتعرّفُ من خِلالِه على بناتِ النَّبِيّ ﷺ وعلى حَياتِهنَّ، ومكانتِهنَّ عندَ الله ـ عزَّ وجلَّ ـ ورسُولِه ﷺ، حتى تتأسَّى بهنَّ نِساءُ المسلِمينَ ـ اليومَ ـ في سُلوكِهنَّ وحياتِهنَّ، فيسعدنَ في الدّنيا والآخرةِ.

** ** **

زَينبُ

رجعَ أَبو العَاصِ بنُ الرّبيعِ مِن إحدَى رحلاتِهِ إلى الشَّامِ، فوجدَ أخبَارَ الدّينِ الجديدِ تَملأُ جَنباتِ مكَّةَ، فأسرعَ إلى بيتِهِ، فبادرتْهُ زوجتُهُ يحدوهَا الأَملُ قَائلةً: الإسلامُ يا أبا العَاصِ. وهُنا يلفُّ الصّمتُ أبا العَاصِ وَيشْرُدُ ذهنُهُ بعيداً. فقَدْ خافَ أن يقولَ عنه القومُ: فارقَ دينَ آبائه إرضاءً لزوجِهِ، ورغم أنّهُ يحبُّ النَّبيّ ﷺ، ويحبُّ زوجَهُ إلا أنَّهُ كَرِهَ أن يخذلَ قومَهُ، ويكفرَ بآلهةِ آبائه، وهُنا اغرورقَتْ عينَا الزّوجةِ المُخلصَةِ بالدموعِ، لكنَّ الأملَ ظلَّ حيًّا في نفسِهَا عسَى الله أن يهديَ زوجَهَا.

وُلِدَتْ زينبُ ـ رَضِيَ الله عنْهَا ـ قبلَ بعثةِ والدِهَا ﷺ بعشرِ سَنواتٍ. وكانتْ أوّلَ أولاده، وتزوّجَتْ من ابنِ خالتِهَا أبي العَاصِ بنِ الرّبيعِ فأنجبَتْ لهُ عليًّا وأُمامةَ، فماتَ عليّ وهو صَغير، وبقيتْ أُمامةُ فتزوّجَهَا الإمامُ عليُّ بنُ أَبي طَالبٍ.

وفي ذلكَ الحينِ بدأتْ مَلحمةُ الصراعِ بين المسلمينَ وكفّارِ قُريشٍ، وهَاجرَ النَّبيّ ﷺ وأصحَابُهُ إلى المدينةِ، وهاجرَتْ معهُ رُقيَّةُ وفاطمةُ وأُمُّ كُلْثُومٍ، وبقيتْ زينبُ وحيدةً في مكّةَ بجوارِ زوجِهَا الذي ظلَّ متمسكًا بوثنيتِهِ، ثُمَّ تطوّرَتْ الأحَداثُ فخرجَ المسلمونَ لاستردادِ حقِّهِم الذي تركُوهُ بمكّةَ فتعرَّضُوا لقافلةِ أبي سُفيانَ، فخرجَتْ قُريشٌ برجالِهَا، وبدأت

السيدةُ هَاجَرُ

هي هَاجرُ أُمُّ إسمَاعيلَ، وزوجةُ إبراهيمَ ـ عليهمَا السلامُ ـ عُرفتْ في التّاريخ بأُمّ العربِ العدنانيينَ.

وهبهَا ملكُ مصرَ إلى السيدةِ سَارة زَوج إبراهيمَ الأُولى، ولمّا أدركتْ سَارةُ أنّها كبرتْ في السنِ، ولَمْ تنجبْ، وهبتْ هَاجر لزوجِهَا ليتزوّجها، عسَى الله أن يرزقه منهَا الولدَ.

وتزوّج سيدُنا إبراهيمُ السيدةَ هَاجر، وبدتْ عليهَا عَلامات الحملِ، ثم وضعتْ إسماعيلَ عليهِ السلامُ، فوجدت الغيرةُ طريقهَا إلى قلبِ السيدةِ سَارة، وأحسّتْ أنّها فقدتْ المكانةَ التي كانتْ لهَا في قلبِ زوجهَا مِن قَبل، فطلبتْ منهُ أنْ يأخذَ السّيدةَ هَاجر وابنهَا بعيدًا عنهَا، فأخذهَا سيدُنا إبراهيمُ إلى صحراءِ مكّة، بأمرٍ من الله، ولحكمةٍ يريدُهَا عزّ وجلّ.

وهُناك.. في صحراءِ مكّةَ القاحِلةِ.. حَيث لا زَرع ولا مَاء.. ولا أَنيس ولا رَفيق.. تركهَا زوجُهَا هي ووليدهَا.. ثُمّ مَضى في طريق عَودته، وتركَ لهمَا تمرًا وماء.فنادتهُ: يا إبراهِيمُ! أينَ تَذهَب وتتركنَا في هَذا الوادِي، الذي ليسَ فيه أنيسٌ ولا شَيء؟! فلَمْ يلتفتْ إليهَا، وكأنّهُ على يقينٍ من وعدِ الله الذي لا يتخلّف ولا يخيب، فأدركتْ أنَّ أمرًا مَا يمنعُ زوجهَا من الردّ عليهَا، فقالتْ لهُ: الله أمرك بهذَا؟ قَال: نعم. فقالتْ في غيرِ تردّدٍ ولا

الذي لا يكادُ يفارقُهَا لَحظةً... فخَرجَ بهَا كَنانـةُ مـرّة أُخـرَى، حتى سلمَهَا إلى زَيدِ بنِ حَارثةَ، الذي صَحبهَا حتى أتَتْ بيـتَ أبيهَا ﷺ بالمدينة، فاستقبلَهَا المسلمونَ استقبالاً طيبًا حَافلاً.

ومرّتِ الأيامُ، ووقعَ «أبو العَاصِ» مرّةً أُخرى في الأَسـرِ، حينَ هَاجمَ المسلمونَ قافلتَهُ العَائـدةَ مـن الشّـامِ، وبعـدَ صَـلاةِ الفجرِ دخلَتْ زينبُ إلى أبيهَا، تطلُبُ منهُ أن تُجيرَ «أبا العَاصِ»، فقالَ النَّبِيّ ﷺ للمسلمينَ: «أيُّها النّاسُ هَل سمعتُمْ ما سمعتُ؟» قالُوا: نَعَم. قالَ: «فوالّذي نفسِي بيدِهَ ما علمتُ بشيءٍ ممَّا كانَ حتى سَمعتُ الذي سَمعتُم، المؤمنونَ يدٌ عَلـى مَـن سـواهم، يُجيرُ عليهِمْ أدناهُمْ، وقَدْ أجرنَا مَن أجارَتْ» [الحاكم]. ثُمّ أَمرَ الرّسولُ ﷺ زَينبَ أنْ لا يقربَهَا زوجُهَا لأنّه مُشركٌ.

ورحلَ أبو العَاصِ بتجارتِه عَائـدًا إلى مكّـةَ وأعـادَ لكـلّ ذِي حقٍّ حَقَّهُ، ثُمَّ أعلنَ إسلامَهُ علَى الملأ ورجعَ مُهـاجرًا في سبيلِ الله إلى المدينةِ، وكانَ ذلكَ في السَّنةِ السّابعةِ لِلـهجرةِ، فالتأمَ شَملُ زَينبَ بزوجِهَا مرّةً أُخرَى.

ولكنْ سَرعانَ ما نزلَـتْ مصـيبةُ المـوتِ بزينـبَ، فماتَـتْ متأثرةً بالألمِ الذي أصابهَا بالنزْفِ عند هجرتِهَا، وكانَـتْ وفاتُهـا في سَنة ٨ مِن الهجرةِ، فبكَاهَا زوجُهَـا أبـو العَـاص بُكـاءً مـرًّا، وحَزنَ عليهَا الرّسولُ ﷺ حُزنًا كبيرًا، ثم ودّعَهَا إلى مثواهَا الأَخيرِ.

رُقيَّةُ

نزلَتْ على رَسولِ الله ﷺ هذه الآياتُ: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ۝٢ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۝٣ وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ۝٤ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍۭ﴾ [سورة المسد]. فكانَتْ وَعيدًا ورحمةً؛ وَعيدًا لأبي لهبٍ وزَوْجتِه، ورَحمةً لرقّيةَ وأمِّ كُلْثُومٍ ابنَتي الرَّسُولِ ﷺ؛ إذْ نجاهمَا الله من العيشِ في بيتِ الشركِ والكُفرِ.

وُلدَتِ السيدةُ رُقيَّةُ ـ رَضيَ الله عنْهَا ـ قَبلَ الهجَرةِ بعشرينَ عَامًا، ونشأتْ في أحضانِ أبيهَا رَسولِ الله ﷺ، وأُمِّها السيدةِ خَديجةَ بنتِ خُويلد ـ رَضِيَ الله عنْهَا ـ.

وكانَتْ رُقيَّة مُلازمةً لأختِهَا أمِّ كُلْثُومٍ لتقاربِ السنِّ بينَهمَا، ولم يفترقَا حتى خطبَ عَبدُ العزّى (أبو لَهبٍ) بنُ عبدِ المطّلبِ السيدةَ رُقيّةَ لابنِهِ عُتبةَ، كمَا خطبَ السيدةَ أُمّ كُلْثُومٍ لابنِه الآخر عُتيبةَ.

فلمّا بُعثَ رسُولُ الله ﷺ وأنزلَ الله عزَّ وجلَّ: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾.قالَ أبو لَهبٍ لابنِهِ عُتبةَ: رَأسِي من رأسِكَ حَرامٌ إنْ لم تُطلِّقْ ابنةَ محمّد. ففارقهَا ولم يكنْ قدْ دخلَ بهَا.

وأسلَمتِ السيدةُ رقيةُ حينَ أسلمتْ أُمُّها السيدةُ خَديجةُ

رضيَ الله عنهمَا، وبايعتِ النَّبِـيّ ﷺ، ثُـمّ تزّوجَهَـا الصَّـحابيُّ الجليلُ عُثمانُ بنُ عَفّانَ ـ رضيَ الله عنهُ ـ بمكّةَ، فكانَ زواجُهَا سَعيدًا مُوفقًا مُتكافئًا.

ثُمّ هَاجرتْ رُقّيةُ مع زوجِهَا عَثمانَ ـ رضِـيَ الله عنـهُمَا ـ إلى أرضِ الحبشةِ، فكانَ عُثمانُ أولَ مَن هَاجر إليهَا، واسـتقرّ بهمَا المقامُ بالحبشةِ، وسَارتْ بهمَا الأيامُ هَادئةً، حـتى أُشـيعَ أنَّ أهلَ مكّةَ قَدْ كفُّوا أيديَهُمْ عَن تعذيبِ المسـلمينَ والتنكيـلِ بِهم، فعادَتِ السيدةُ رُقّيةُ مع زوجِهَا عُثمانَ وبَعضِ المسـلمينَ ـ رضيَ الله عنهُمْ ـ إلى مكّةَ، ولكنّهُمْ فُوجئُوا بـأنَّ أهـلَ مكّـةَ مازالوُا على عِنادِهِمْ يسومُونَ المستضعفينَ من المسلمينَ سُوءَ العذابِ، فانتظرُوا قُدومَ الليلِ، ثُمَّ دَخلُوا مكّةَ مُتفرِّقِينَ.

وعندَمَا عَادت السيدةُ رُقَيَّةُ ـ رَضِيَ الله عنْهَـا ـ إلى مكّـةَ كانَتْ أَمُّهَا خَديجةُ قد لِقيَتْ ربَّهَا، فحزنَتْ عليهَا أَشدَّ الحُزنِ، ثم ما لبثَتْ أن هَاجرَتْ إلى المدينةِ بعد أن هَاجرَ زوجُهَا عُثمانُ ـ رضيَ اللهُ عنْهُ ـ مِن قبلُ.

وَلَدَتْ رُقيَّةُ من عثُمانَ ابنَهَا عَبدَ الله وبه كَانَ يُكنَى، ولمَّا بلغَ ستّ سَنواتٍ نَقَرَهُ ديكٌ في وجهِهِ، فطمرَ وجهَـهُ فمـاتَ، وكانَتْ رُقيَّةُ قد أَسقطتْ قبلَهُ سَقطًا وقتَ هِجرتِهَا الأُولى، ولم تَلدْ بعدَ ذلكَ.

وتجهَّزَ المسلمونَ لأولِ معركةٍ مع الكُفرِ في بَدرٍ، وتمنّى عُثمانُ أن يكونَ مع المجاهدِينَ، ولكنَّ زوجتَهُ كانَتْ تُعالجُ سكراتِ الموتِ بعدَ مَرضٍ شَديدٍ إثرَ حُزنِهَا الشّديدِ على وفاةِ ولدِهَا، ولذلكَ أذنَ الرّسولُ ﷺ لعثمانَ بالتخلّفِ ليكونَ إلى جوارِهَا يطبِّبُهَا، ولكنَّهَا ما لبثتْ أن لبّتْ نداءَ ربِّهَا في شَهرِ رَمضانَ من السنةِ الثانيةِ للهجرةِ، وكانتْ ـ بذلكَ ـ أُولى بَناتِ النَّبيّ ﷺ موتًا، وفي ذلكَ يقولُ ابنُ عبّاسٍ: لما ماتَتْ رُقيَّةُ بنتُ رَسُولِ الله ﷺ قالَ رسولُ الله ﷺ: «الحقِي بسلفِنَا عُثمانَ ابنِ مَظعونٍ» [ابن سعد].

فَبكَتِ النساءُ عليهَا، فجعلَ عُمرُ بنُ الخطّابِ ـ رضيَ الله عنْهُ ـ يَضربهنّ بسوطِهِ، فأخذَ النَّبيّ ﷺ بيدِهِ، وقالَ: «دَعهنَّ يَبكينَ» [ابن سعد]. ثُمَّ قالَ ﷺ: «ابكينَ وإياكنَّ ونعيقَ الشيطانِ، فإنّهُ مهمَا يكنْ من القلبِ والعينِ فمِنَ الله والرحمةِ، ومهمَا يكنْ من اليدِ واللسانِ فمِن الشيطانِ» [ابن سعد].

وعندَ القبرِ، قعدَتْ فاطمةُ الزّهراءُ على شَفيرِ القبرِ بجوارِ رسولِ الله ﷺ، وهي تَبكِي، ورسولُ الله ﷺ يمسحُ الدمعَ عن عينيهَا بطرفِ ثوبِهِ وعيناهُ تدمعانِ. [ابن سعد].

ودُفنَتْ رُقيّةُ ـ رَضِيَ الله عنْهَا ـ بالبقيعِ.

أُمُّ كُلْثُومٍ

وُلدَتِ السيدةُ أُمّ كُلْثُومٍ ـ رَضِيَ الله عنْهَا ـ قبلَ بعثةِ النَّبيّ ﷺ، وشهدَتْ ازدهَارَ الإسلامِ وانتصَارَهُ على الكُفرِ والشركِ، وجَاهدَتْ مع بَاقي أسرتِهَا، فَشاركَتْ أباهَا ﷺ وأُمَّهَا خَديجةَ جهادَهُما، وعانَتْ معهمَا وَطأَةَ الحصَارِ الذي فرضَهُ الكُفّارُ والمشركونَ على المسلمينَ في شِعْبِ أَبي طَالبٍ، ثُمَّ هَاجرَتْ إلى المدينةِ المنورةِ مع أُختِها فَاطمةَ وبعضِ نِساءِ أَهلِ البيتِ، وذلكَ عندَمَا أرسلَ النَّبيّ ﷺ إليهنَّ زيدَ بنَ حَارثةَ ليصحبَهُنَّ. وشهدَتِ السيدةُ أُمُّ كُلْثُومٍ ـ رَضِيَ الله عنْهَا ـ فرحةَ انتصارِ المسلمينَ في بَدرٍ.

وقدْ تشابهَتْ ظُروفُ أُمّ كُلْثُومٍ وأُختِهَا رُقيَّةَ ـ رضيَ الله عنهُمَا ـ حيثُ نشأَتَا سويًّا في بيتِ النبوّةِ، وخُطبَا لشقيقينِ هُما عُتبةَ وعُتيبةَ من أبناءِ أبي لهبٍ وزوجتِهِ أمِّ جَميلٍ، ولكنَّ الله أنقذَهمَا وأكرمَهمَا، فلَمْ يبنيَا بهمَا، وحُرِمَ ولدَا أبي لهَبٍ من شَرفِ زواجِهِمَا.

وبعدَ غزوةِ بَدرٍ جاءَ عُثمانُ بنُ عَفّانَ ـ رضيَ الله عنْهُ ـ إلى بيتِ النَّبيّ ﷺ ليلتمسَ المواساةَ في زوجتِهِ رُقيّةَ ـ رَضيَ الله عنْهَا ـ بعدَ وفاتِها، وجاءَ عُمرُ بنُ الخطّابِ ـ رضيَ الله عنهُ ـ يشكُو للنبيِّ ﷺ أَبَا بكرٍ، وعُثمانَ حينَ عَرضَ عليهمَا ابنتَهُ

حَفصةَ، بعد أن ماتَ زوجُهَا خُنيسُ بنُ حُذافةَ السّهْميُّ - رضيَ الله عنهُ - فلمْ يَقبلا، فقالَ لهُ النَّبيّ ﷺ: «يتزوّجُ حَفصةَ مَن هو خيرٌ مِن عُثمانَ، ويتزوّجُ عُثمانُ مَن هي خيرٌ من حَفصةَ». [ابن سعد].

وقَدْ صَدقَتْ بشراهُ ﷺ؛ حيثُ تزوّجَ ﷺ مِن السيدةِ حَفصةَ رَضِيَ الله عنْهَا، وتزوّجَ عُثمانُ - رضيَ الله عنهُ - مِن السيدةِ أُمّ كُلْثُومٍ بنتِ النَّبيّ ﷺ.

ودخلَتْ أُمُّ عَيَّاشٍ - خَادمةُ النَّبيّ ﷺ - إلى السيدةِ أُمّ كُلْثُومٍ تدعُوهَا للقاءِ النَّبيّ ﷺ لأخذِ رأيهَا في أمرِ الزواجِ مِن عُثمانَ؛ فلمَّا أطرقتْ صَامتةً حياءً من النَّبيّ ﷺ، عرفَ أنَّها ترى ما يراهُ، فقالَ النَّبيّ ﷺ لعثمانَ: «أزوّجُكَ أُمّ كُلْثُومٍ أُختَ رُقيّةَ، ولوكُنَّ عَشرًا لزوّجتُكَهُنَّ» [ابن سعد].

فَنالَ عُثمانُ بنُ عَفّانَ بذلكَ الشَّرفَ لَقبَ ذِي النّورينِ؛ لزواجِهِ من ابنتي رَسُولِ الله ﷺ، فكلتاهمَا نورٌ بحقٍّ.

وظلّتْ أُمّ كُلْثُومٍ - رَضِيَ الله عنْهَا - في بيتِ عُثمانَ زوجةً لهُ لمدة ستّ سَنوات، لا يفارقُهَا طَيفُ أختها رُقيَّةَ.

وفي السنةِ التّاسعةِ من الهجرةِ، تُوفيتْ أُمّ كُلْثُومٍ دونَ أن تُنجبَ؛ فأرخَى النَّبيّ ﷺ رأسَهَا الشريفَ بجانبِ مَا بقيَ من رُفاتِ أُختِهَا رُقيَّةَ في قبرٍ واحدٍ، مُودعًا إيَّاهَا بدموعِهِ.

فَاطمةُ الزّهراءُ

كانَتْ حَبيبةَ النَّبيِّ ﷺ وريحانتَهُ، وحافظةَ أسرارِه ؛ فقَدْ جَلستْ بجوارِه ﷺ يومًا فأسرَّ إليهَا بنبأ جَعلَهَا تَبكِي وتبتسِمُ، فسألتهَا السيدةُ عَائشةُ ـ رَضِيَ الله عنْهَا ـ عَن ذلكَ. فأجابتهَا: مَا كانَ لي لأفشِي سرَّ رسولِ الله ﷺ. فلمّا ماتَ النَّبيّ ﷺ سألتهَا فقالَتْ: إنّ أبي قالَ لي في أوّلِ مَرَّةٍ: «إنّ جبريلَ كانَ يُعارضنِي القُرآنَ الكريمَ في كلِّ سَنةٍ مرّةً واحدةً، وإنّهُ عَارضَنِي إيّاهُ مَرَّتَينِ هَذا العَامَ، ومَا أراهُ إلا قَدْ حضَرَ أجلِي». فبكَيتُ، ثُمَّ أردفَ بقولِه: «وإنّكِ أوّلُ أهلِي لحُوقاً بِي، نعمَ السّلفُ أنا لكِ» فتبسمتُ. [متفق عليه].

وُلِدَت الزَّهراءُ قبلَ بعثةِ النَّبيِّ ﷺ، وعمرُهُ حِينئذٍ خَمسٌ وثلاثونَ سَنةً، وذلكَ في يومِ التحكيمِ عِندَ إعادةِ بناءِ الكعبةِ، يوم أخمدَ النَّبِيّ ﷺ بحكمتِه وفطنتِه نارَ الحربِ بين قبائلِ قُريشٍ المتنازِعةِ حَولَ مَن يَضعُ الحجرَ الأسودَ المقدّسَ في مكانِه؛ فقَدْ بسطَ رداءَهُ، ووضعَ فيه ذلكَ الحجرَ وطلبَ من زعماءِ القبائلِ أن يُمسكَ كلٌّ مِنهُم بطرفِ الرداءِ ثُمَّ وضعَهُ بيدِهِ الشَّريفةِ في مكانه.

وقَدْ سُميتْ ـ رَضِيَ الله عنْهَا ـ فَاطمةَ؛ لأنَّ الله تعالى قَدْ فطمَهَا وحفظَهَا من النّارِ، ولقّبَهَا النَّبِيّ ﷺ الزّهراءَ؛ فكانتْ

رَيحانتَهُ وأحبَّ بناتِه إليه؛ لأنَّها أَصْغَرُهنّ وحَافظةُ نسله ﷺ.

وقَدْ شهدَتِ السيدةُ فاطمةُ مُنذُ طفولتِهَا أَحداثًا جِسامًا كَثيرةً، فَقدْ كانَ النَّبِيّ ﷺ يُصلّي يَومًا عند الكعبةِ، وبعضُ سُفهاءِ قُريشٍ جَالسونَ، فانبعثَ شَقيٌّ من أَشقياءِ القومِ فأتَى بأحشاءِ جَزورٍ فألْقَاهَا على رسولِ الله ﷺ وهو سَاجدٌ، فلَمْ يَزلْ سَاجدًا حتى جاءَتْ فاطمةُ، فأزالَتْ عنهُ الأَذَى.

وكانَتْ أُمُّ جَميلٍ ـ امرأةُ أبي لَهبٍ ـ تُلقي الأقذارَ أمامَ بيتِه ﷺ فيزيلُهَا في هدوءٍ ومعَهُ فاطمةُ تُحاولُ أن تُعيدَ إلى المكانِ نَظافتَهُ وطَهارتَهُ.

وقاسَتْ فاطمةُ ـ رَضِيَ الله عنْهَا ـ عذابَ الحصارِ الشديدِ الذي فرضَهُ الكفّارُ على المسلمينَ وبني هَاشمٍ في شِعْبِ أبي طَالبٍ.

وقبلَ الهجرةِ بثلاثِ سنواتٍ تُوفيتِ السيدةُ خَديجةُ ـ رَضِيَ الله عنْهَا ـ وتركَتْ ابنتَهَا فَاطمةَ تُعاني أَلمَ الوحدةِ وحَنينَ الذكرياتِ.

وهاجرَتِ الزّهراءُ إلى المدينةِ وهي في الثّامنةَ عَشرَةَ من عمرِهَا، وكانَتْ معهَا أُمُّ كُلْثُومٍ، وكانَ ذلكَ في السنةِ الأُولى من الهجرةِ.

وفي المدينةِ تقدّمَ كبارُ الصّحابةِ وعلى رَأسِهِمْ أَبو بكرٍ الصِّدِّيقُ وعُمرُ بنُ الخطّابِ ـ رضيَ الله عنهمَا ـ للنبيِّ ﷺ يطلبونَ

الزواجَ من السيدةِ فَاطمةَ، لكنَّ الرسولَ ﷺ اعتذرَ لهُمْ في رفقٍ، ثُمَّ طلبَهَا عليٌّ بنُ أَبي طالبٍ ـ كرَّم الله وجهَهُ ـ فوافقَ النَّبيّ ﷺ.

وقَدْ قَدَّمَ عليٌّ مَهْرًا للسيدةِ فاطمةَ قدرُه أُربعُمئةٍ وسَبعونَ درهَمًا، وكانَتْ ثَمنًا لدرعٍ أَهداهَا لهُ الرّسولُ ﷺ يومَ بدرٍ، واشتَراهَا منهُ «عُثمانُ بنُ عفّانَ» ـ رضيَ الله عنهُ ـ بَهذَا الثّمنِ، وكانَ جهازُهَا خَميلةً، ووسادةً من أدمٍ حَشوها لِيفٌ، ورحاءَينِ، وسقَاءً، وجرّتينِ.

وفي يومِ زواجِهَا قدّمَ النَّبيّ ﷺ طَبقًا مَليئًا بالتمرِ لأصحابِهِ وضيوفِهِ الكرامِ، وفي ليلةِ البناءِ كانَ عليٌّ قَدْ وُفِّقَ إلى استئجارِ منزلٍ خَاصٍ يستقبلُ فيه عَروسَهُ الزّهراءَ بَعدَ تجهيزِهَا.

وبعدَ صلاةِ العشاءِ توجَّهَ النَّبيّ ﷺ إلى بيتِ الزوجيّةِ الجديدِ ودعَا بماءٍ فتوضَّؤُوا منهُ ثم دَعا النَّبيّ ﷺ لهمَا بقولِهِ: «اللهمَّ بَارِكْ فيهمَا وَبارِكْ عليهمَا، وبَارِكْ لهمَا في نسلِهِمَا»[ابن سعد].

وبعدَ عامٍ سعيدٍ مُلئَ بالإيمانِ رَزَقَ الله فاطمةَ ـ رَضِيَ الله عنْهَا ـ ابنَهَا الحَسنَ، فاستبشرَ النَّبيّ ﷺ فيهِ خَيرًا، ثم رُزِقَتْ من بعده ابنَهَا الحُسينَ، ثُمَّ وَلدَتْ مُحسنًا الذي تُوفِّيَ وهو صَغيرٌ، ثُمَّ مَنَّ الله على بيتِ النبّوةِ بمولودَتينِ جميلتَينِ هما

السيدةُ «زَينبُ» والسيدةُ «أُمّ كُلْثُومٍ»، بنتا الإمامِ عليٍّ والسيدةِ فَاطمةَ ـ رضيَ الله عنهُمْ جَميعًا ـ.

وكانَتِ السيدةُ فاطمةُ، وزوجُهَا عليٌّ، وابناهَا الحسَنُ والحُسينُ ـ رضيَ الله عنهُمْ ـ أعزَّ النّاسِ وأقربَهُمْ إلى النَّبيِّ ﷺ، فقَدْ وردَ أنّهْ لمّا نزل قولُ الله تعالى: ﴿فَقُلْ تَعَالَوْاْ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ [آل عمران: ٦١]. دعَا رسولُ الله عليًّا وفاطمةَ والحسنَ والحُسينَ وقالَ: «اللهمَّ هَؤلاءِ أَهلي» [مسلم]. وقالَ: «اللهمَّ هؤلاءِ أهلُ بيتِي وخاصّتِي، أَذهبْ عنهُمْ الرجسَ وطهّرهُمْ تَطهيرًا» [الترمذي].

وكانت السيدةُ فاطمةُ ـ رَضِيَ الله عنْهَا ـ تقومُ على خدمةِ زوجِهَا وأولادِهَا، ورعايةِ البيتِ، فكانَ يُصيبُها التعبُ والمشقةُ، وقالَ عَنهَا زوجُهَا عليُّ بنُ أَبي طالبٍ: لقَدْ تزوّجتُ فاطمةَ وَما لي ولهَا خَادمٌ غيرَهَا، ولمّا زوّجَهَا رسولُ الله ﷺ أرسلَ معهَا بخميلةٍ ووسادةِ أدمٍ حَشوهَا ليفٌ، ورحاءينِ وسقاءٍ وجرّتينِ، فكانَتْ تجرُّ بالرحاءِ حتى أثّـرَتْ في يـدهَا، واستقَتْ بالقربةِ حتى أثّرَتْ القربةُ بنحرِهَا، وكانَتْ تُنظّفُ بيتَهَا حتى تغبّرَتْ ثيابُهَا، وتُوقدُ تحتَ القدرِ حتى دنسَتْ ثيابُهَا.

وكانَتِ السيدةُ فاطمةُ ـ رَضِيَ الله عنْهَا ـ تشكُو الضّعفَ، وتُشاركُ زوجَهَا الفقرَ والتعبَ نتيجةً للعملِ الشّاقِ الّذي أثَّرَ في جسديهِمَا.

وذاتَ يومٍ علمَتْ أنّ رسولَ الله ﷺ جاءَهُ عَبيدٌ وجَـوَارٍ، فأتَتْ أباهَا لتطلبَ منْهُ خَادمةً تُساعدُهَا في العملِ، ولكنَّهَـا لم تَستطعْ أن تطلبَ ذلكَ استحياءً منهُ، فتولّى الإمامُ علـيٌّ عنـهَا السّؤالَ وهي مُطرقةٌ في استحياءٍ. لكنَّ الرّسولَ ﷺ قـالَ لهُمَـا في رفقٍ وهو يقدّرُ حالَهُمَا: «ألا أدلُّكُمَا على مَا هو خَيرٌ لكُمَـا مِن خادمٍ؟ إذَا أويتُمَا إلى فراشِكُمَا، أو أخـذتمَا مضـاجعكمَا، فكبِّرَا أربعًا وثلاثينَ، وسـبِّحَا ثلاثًـا وثلاثـينَ، واحمـدا ثلاثًـا وثلاثينَ، فهذا خيرٌ لكمَا مِن خادمٍ» [البخاري].

وقَدْ كانَتِ السيدةُ فاطمةُ الزّهراءُ ـ رَضِيَ الله عنْهَا ـ أشبهَ النّاسِ برسولِ الله ﷺ، قالتْ فيها أُمُّ المؤمنينَ السيدةُ عَائشةُ ـ رَضِيَ الله عنْهَا ـ: «ما رأيتُ أحـدًا مـن خَلـقِ الله أشـبهَ حَـديثاً وَمشيًا برسولِ الله من فَاطمةَ» [الترمذي].

وَقَد بلغَتِ السيدةُ فاطمةُ ـ رَضِيَ الله عنْهَا ـ مكانةً عاليـةً ومنزلةً كبيرةً، فَقَدْ أخبرَ رسولُ الله ﷺ أنّها سَـيدةُ نِسـاءِ أهـلِ الجنّةِ. [الترمذي والحاكم].

وأخبرَ عنهَا النَّبيّ ﷺ أنَّها واحدةٌ من خيرِ نساء العالمينَ، فقالَ ﷺ: «خيرُ نساءِ العالمينَ أربعٌ: مَريمُ ابنةُ عِمرانَ، وآسيةُ امرأةُ فِرعَونَ، وخَديجةُ بنتُ خُويلدٍ، وفاطمةُ بنتُ محمَّدٍ»[ابن حجر في الإصابة].

وكانَ ﷺ يقولُ عنهَا: «فاطمةُ بضعةٌ منِّي، يُؤذِيني مَا أذَاهَا، ويُريبني مَا رَابها» [متفق عليه].

وكانَ النَّبيّ ﷺ إذَا دخلَ عليهَا قامتْ لهُ وقبّلَتْ يدَهُ وأجلسَتْهُ مكَانَها، وإذا دَخلَتْ عليهِ ﷺ أخذَ بيدِهَا وأجلسَهَا بجوارِهِ، ورحَّبَ بهَا أيما تَرحيبٍ.

وكانَ ﷺ إذَا قدمَ مِن غَزوٍ أو سَفرٍ يَبدأُ بالمسجد فيُصلِّي، ثُمّ يَزورُ ابنتَهُ فَاطمةَ الزّهراءَ، ثُمّ يَأتِي أزواجَهُ رضوانُ الله عليهنّ.

وبعدَ ستَّةِ أَشهرٍ مِن وفاةِ الرّسولِ ﷺ انتقلَتِ السيدةُ فاطمةُ ـ رَضِيَ الله عنْهَا ـ إلى جوارِ ربِّها، ودُفنتْ بالبقيعِ في ليلةِ الثُلاثاءِ، الثّالثِ من رمضانَ، سَنةَ إحدَى عَشرةَ من الهجرةِ، وكانَ عمرُهَا ثَمانيةً وعشرينَ عَامًا.

** ** **

سلسلة أشهر النساء

١ – أمهات المؤمنين
٢ – أمهات النبي ﷺ
٣ – بنات النبي ﷺ
٤ – أشهر النساء
٥ – أشهر الشهيدات
٦ – أشهر الزاهدات
٧ – أشهر الخطيبات
٨ – أشهر المجاهدات
٩ – أشهر الفقيهات
١٠– أشهر الشاعرات

٨١٠٠٥٧